جلايلية صبيحة

المحاضرة الخامسة:

أثر المعتزلة في النقد الأدبي

أولا التعريف

المعتزلة فرقة إسلامية أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وكان لها أكبر الأثر على ثقافة المسلمين لاعتمادها العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية بسبب تأثرها بالفلسفة.

تقوم فكرة المعتزلة على أن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه، ولذلك كان التكليف، وأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق، فهو بمنزلة بين المنزلتين.

وأما مذهبهم فيتلخص في خمسة أصول هي:

1 –التوحيد 2– العدل 3– الوعد والوعيد 4– المنزلة بين المنزلتين 5– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيا: النشأة وأبرز الشخصيات:

بالإضافة إلى الاختلافات السياسية والعقيدية التي عرفها المسلمون بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، واختلافهم في مسألة أحقية الحكم التي ازدادت حدة بعد وفاة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، يذهب أغلب الباحثين في شأن المعتزلة إلى أن مدرسة المعتزلة بدأت مع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وكانت فترة نشاطهما أثناء خلافة هشام وخلفائه الأمويين، أي من سنة (105 هـ). إلى سنة (131هـ).

وأما عن سبب تسميتهم "معتزلة" فلأنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، وشكّل حقلة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين، وقول الحسن: "اعتزلنا واصل".

ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء:

1/ **إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظام البصري أبو إسحاق** (توفي سنة 231هـ). تأثر بالفلسفة اليونانية مثل بقية المعتزلة. اختلف في سبب إطلاق هذا اللقب عليه، فأشياعه يقولون إنها من إجادته لنظم الكلام، بينما أرجع خصومه ذلك بأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. تبحّر في علوم الفلسفة. ذكر له المؤرّخون وكتّاب التراجم كتباً كثيرة في الفلسفة والاعتزال، إلاّ أنها لم تصل، كما رُوي عنه شعر وأدب.

2/ بشر بن المعتمر الهلالي (ت 226هـ)، رأس معتزلة بغداد، وواحد من أبرز أدبائهم المعروفين. لبشر بن المعتمر أهمّيته في أدب المعتزلة، فهو صاحب الصحيفة المشهورة التي وضع فيها القواعد الأساسية لعلم البلاغة العربية، وقد أثبتها الجاحظ في (البيان والتبيين) مع

تعليقات وشروح عليها وتحليلات لها، وكذلك نقل مقاطع منها صاحب (الصناعتين)، و(العمدة).

3/ **عمرو بن بحر** أبو عثمان الجاحظ (ت سنة 256هـ)، وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، يعدّ من أساطين الأدب العربي وزعيم صنعته من البلاغيين، وأحد أشهر متكلّمي المعتزلة، فما خلّفه الرجل من آثار ومؤلّفات تجسّد بوضوح جميع النزعات والاتجاهات الإعتزالية. وتتجلى قدرته في عرض الحقائق والظواهر العلمية بأسلوب أدبي: إذ له قدرة فائقة على عرض الفكرة ومعالجتها، وهو دائماً يذهب من المقدّمات إلى النتائج، ومن الخاصّ إلى العام، متّبعاً طريق الجدل المنطقيّ، جامعا بين الفكرة والطرفة، ليوصلها للعامة فضلا عن الخاصة، لغته بسيطة لكنها معبرة.

4/ **الزمخشري** أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله، (467 هـ – 538هـ). ولد في "زمخشر" من إقليم "خوارزم" الفارسي. درس العلوم اللغوية والدينية، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفّر النيسابوري، وأبي مضر محمد بن جرير الضبيّ الأصبهاني، وقضى شطراً كبيراً من حياته في الترحال، فأقام في بغداد مدّة، وجاور بمكة طويلاً، وبها أملى تفسيره الكشّاف. كان كاتباً، وشاعراً، ومفسّراً للقرآن الكريم. بالإضافة إلى (الكشّاف)، فإن للزمخشري كتباً معروفة من أهمّها كتاب (المفصّل) في النحو، وقد عُني به من جاؤوا بعده وشرحوه مراراً، ومعجم (أساس البلاغة)، وكتاب (أطواق الذهب).

5/ ابن أبي الحديد المعتزليّ عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني، (586-656هـ)، ولد في المدائن، وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية ثم مال إلى مذهب الاعتزال. سافر في مطلع شبابه إلى بغداد حيث استزاد من العلم فيها، واختلط بالعلماء فيها، وفيها نال الحظوة لدى الخلفاء العباسيين، وله مع الأشعري والغزالي والرازي كتب ومواقف.

المعتزلة والنقد:

عرف المعتزلة بمقدرتهم على الجدل، وبثقافتهم العقلية والمنطقية الواسعة، وتمرّسهم في قواعد وأساليب الجدل التي اقتبسوها من اليونانيين بالدرجة الأولى، فالمعتزلة- على غرار الجاحظ، والنظّام، وثمامة بن الأشرس، وأبي حيّان التوحيدي وغيرهم-، كانوا من أمهر الأدباء والشعراء، ولعله السبب الذي مكنهم من بسط الموضوعات العلمية والفلسفية المعقّدة والشائكة، وتقديمها إلى عامّة الجمهور بأسلوب سهل مبسّط جذّاب يتميّز بالطابع الأدبي والفنّي. وأبرز ما خلفوه، ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وصحيفة بشر بن المعتمر وهي أقدم وأبرز مصدر بلاغي. يقول بشر في مقدّمة صحيفته: "خُذْ من نفسكَ ساعة نشاطك وفراغَ بالِكَ وإجابَتها إياك، فإن قليلَ تلك الساعة أكرمُ جوهراً وأشرفُ حسباً، وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلبُ لكل عين، وغرُّة ، من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطولُ بالكدّ والمطاولةِ

والمجاهدة وبالتكلّفِ والمعاودةِ، ومهما أخطأكَ لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسانِ سهلاً، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه...".

مراجع للتوسع:

1- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

2-البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط7، 1418هـ-1998، القاهرة، مصر.

3-رسائل الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، القاهرة، مصر.

4-ابن رشيق المسيلي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح عبد الواحد النبوي شعلان، ج1، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ/2000م، القاهرة، مصر.